

الأمثل في تفسير كتاب الأ المنزل

[461] بالتي تقرّبكم عندنا زلفى(1) لقد عمّ هذا الإشتباه الخطير بعضاً من البسطاء ، وتصوّروا بأنّهم ما داموا محرومين في الدنيا فهم مغضوب عليهم ومطرودون من رحمة الله ، وهؤلاء المرفّهون هم المحبوبون المقبولون لديه . ما أكثر المحرومين الذين امتحنوا بالحرمان ، فنالوا أرقى الدرجات والمراتب الروحية . وما أكثر المرفّهين الذين أصبحت أموالهم وثرواتهم وبالا عليهم ومقدّمة لعقابهم . أليس قد ذكرت الآية (15) من سورة التغابن بصراحة (إنّما أموالكم وأولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم) . ولكن ليس معنى هذا هو حثّ الإنسان على ترك السعي والدأب اللازم لإقامة الأود ، بل المقصود هو التأكيد على أنّ إمتلاك الإمكانيات الإقتصادية والقوّة البشرية الواسعة لا يمثّل أبداً أيّة قيمة معنوية للإنسان عند الله . ثمّ تتناول الآية موضوع المعيار الأصلي لتقييم الناس ، وما يسبّب قريهم منه (على شكل إستثناء منفصل) فتقول: (إلاّ من آمن وعمل صالحاً فاولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم في الغرفات آمنون)(2) . وعليه فجميع المعايير تعود أصلاً إلى هذين الأمرين "الإيمان" و "العمل الصالح" . ويستوعب هذا المعيار جميع الأفراد وفي أي زمان أو مكان ، ومن أي طبقة أو مجموعة كان . وإختلاف مراتب البشر أمام الله إنّما هو بتفاوت درجات إيمانهم ومرتاتب عملهم الصالح ، ولا شيء سوى ذلك . حتّى طلب العلم أو _____ 1 - "زلفى" و "زلفة" بمعنى المنزلة والخطوة (مفردات الراغب) ، ولهذا السبب عبّر عن (منازل الليل) بـ (زلف الليل) - والتعبير بـ "التي" لأجل أنّّه في كثير من الموارد يعود الضمير المفرد المؤنث إلى جمع التكسير ، وعليه فلا حاجة إلى التقدير هنا . 2 - التعبير بـ "جزاء الضعف" من قبيل إضافة الموصوف إلى الصفة .